مدخل إلى التعددية اللغوية

نحو تصور شامل للمصطلح و المفهوم

د.حنان عواريب

جامعة ورقلة

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى ضبط مصطلح التعددية اللغوية من حيث الاصطلاح و الدلالة ، و كذا تبيين علاقته بمصطلحات أخرى تتداخل معه في نفس السياق ؛ كمصطلح التعدد و التباين و التنوع ، متناولة في ذلك وجهات نظر مختلفة لمتخصصين في اللسانيات الاجتماعية.

résumé

Ce document de recherche thématique vise à adapter la durée du multilinguisme en termes de terminologie et la sémantique , et ainsi que sa relation à d'autres termes interfère avec lui dans le même contexte , comme un terme diversité et de la diversité , vues participants différents de spécialistes en linguistique sociaux.

توطئة:

إن الحديث عن المجموعات الكلامية و خصائصها وسماتها اللغوية ، و البحث في قضايا المجتمعات المتسمة بالتعددية اللغوية ، يحتاج إلى ركيزة معرفية مفاهمية واضحة تتمثل في ضبط المصطلحات و تحديد مفاهيمها بدقة باعتبارها أوعية للمعرفة و مداخل ضرورية لكل بحث نظري أو تطبيقي.

لذا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية ضبط مصطلح التعددية اللغوية من حيث المعنى اللغوي و ما يقابله باللغة الأجنبية ، و المعنى الاصطلاحي ، و بالتالي فهم الظاهرة اللسانية دون لبس أو مراوغة قد يحدثها المصطلح.

- **المدخل اللغوي :**

يعد مصطلح (التعددية اللغوية) من المصطلحات العلمية المركبة من كلمتين؛ التعددية و اللغوية ، فالتعددية في اللغة العربية تشير إلى المصدر الأصلي تعدّد، فيقال تعدّد يتعدّد تعدّدا، أي صار ذا عدد ، أو صار عديدا ،أي كثيرا ، ويقول ابن فارس : العد إحصاء الشيء . تقول عددت الشيء أعده عدا فأنا عاد ، و الشيء معدود . و العديد الكثرة ....و يقال ما أكثر عديد فلان و عددهم و إنهم ليتعادون و يتعددون على عشرة ، أي يزيدون عليها..[1] فالمصطلح فيه إشارة إلى الزيادة في العدد .

يقابل مصطلح التعددية اللغوية في اللغة الأجنبية مصطلحان اثنان هما: plurilinguisme و Multilinguisme ، يترجم العلماء العرب المصطلحين بتعابير و أشكال عدة ، مختلفة أحيانا و متداخلة أحيانا أخرى.

فالمصطلحان عند الأغلبية من المترجمين مترادفان؛فالمصطلح(Multilinguism)هو تعدد اللغات أو تعددية لغوية أو مذهب التعددية اللغوية ، و (plurilinguisme) يدل أيضا على تعدد اللغات أو تعددية لغوية أو مذهب التعددية اللغوية ، وما يبرر هذا الترادف ، هو أن (multi) و (plural) تحملان المعنى نفسه و الدلالة ، فكلاهما يدل على وجود أكثر من شيء واحد.

نجد في القاموس plural"forme of a Word or form used for referrring than one" [2] أي كلمة أو تركيب يعبر عن أكثر من واحد ، و multi و multiple هي having more [3] أي وجود الكثير؛ بهذا التحليل اللغوي ، تقابل التعددية اللغوية كمصطلح عربي المصطلحين الأجنبيين (Multilinguisme) و (Plurilinguisine) ، و يدعى من يعرف أكثر من لغتين متعدد اللغات أو متعدد اللغة (Multilinguisme) و Plurilinguisme.

كل ما تم ذكره هو تعريف لغوي ، القصد منه ضبط المصطلح من حيث الاصطلاح و ما يقابله في اللغة الأجنبية ؛ فالمدخل اللغوي يسهل فهم التعريف الاصطلاحي ، وبالتالي فهم الظاهرة دون لبس أو مراوغة قد يحدثها المصطلح في طريق الدراسة النظرية.

- **المدخل الاصطلاحي**

إن للتعددية اللغوية توائم مصطلحية أخرى، كالتعددية الحزبية ، والتعددية السياسية ، و التعددية الثقافية ، و التعددية الاجتماعية ، و التعددية الدينية فالتعددية " تعني في أي شكل من أشكالها، مشروعية التعدد ، و حق جميع القوى و الآراء المختلفة في التعايش و في التعبير عن نفسها ، وفي المشاركة على صعيد تسيير الحياة في مجتمعاتها"[4].

فالتعددية الدينية مثلا ، تختص بالتعددية في الدين و العقائد و الشرائع و المناهج المتصلة به ، و التعددية السياسية تعني مشروعية تعدد القوى و الآراء السياسية و حقها في التعايش و التعبير عن نفسها.

وعليه ، تكون التعددية اللغوية حق الجماعات اللغوية في ممارسة لغتها و استعمالها في المجالات الرسمية و غير الرسمية و تطويرها و النهوض بها.

و من جهة أخرى يفضل البعض استعمال مصطلح التعدد اللغوي ؛ كونه يخلو من معاني الحزبية و التعصبية.

يعرف التعدد اللغوي على أنه " استعمال أكثر من لغة واحدة، أو القدرة بأكثر من لغة"[i] سواء كانت تتعلق بالفرد أو المجتمع أو كتاب. فقد ورد في المعجم المفصل في علوم اللغة تعريف مصطلح متعدد اللغات بأنه : 5

1- هو الشخص الذي يتكلم أكثر من لغتين

2- صفة لمجتمع فيه أكثر من لغتين مستعملتين.

3-صفة لكتاب يتضمن نصوصا بأكثر من لغتين.

و في تعريف آخر لجوليت غرمادي تقول فيه (إن الثنائية اللغوية أو التعددية اللغوية ؛ أي إن استعمال منظومتين أو أكثر من جانب المتكلمين في متحد واحد)[6]

و لئن كانت جولييت غرمادي قد استخدمت مصطلح التعددية اللغوية ، فهناك من يستعمل مصطلحات أخرى للتعبير عن ذات الظاهرة ، كمصطلح التنوع و مصطلح التباين و مصطلح الاختلاف.

- **رأي هدسون :**

يرى هدسون أن مصطلح (نوعية من اللغة)، يعني في كل الحالات " مجموعة وحدات لغوية لها نفس التوزيع الاجتماعي"[7] و يقول في موضع أخر :" و هذا التعريف (أي **نوعية من اللغة)** يجعلنا نلح أن نتعامل مع كل اللغات التي يستخدمها فرد من متعددي اللغاتmultilingual باعتبارها نوعية واحدة"[8]

فهدسون إذن يجعل من مجموعة اللغات التي يستخدمها متحدث ما أو جماعة معينة في سياق واحد ، نوعية من اللغة ، فيصبح مصطلح التعدد عنده يمثل نوعية أو نوعيات من اللغة.

- **رأي هارالد هارمان :**

ينظر صاحب كتاب (تاريخ اللغات و مستقبلها) هارالد هارمان إلى ظاهرة التعدد اللغوي بمنظار الإيجابية فهي عنده ليست مجرد تعدد اللغات ، و إنما تنوع لغوي لا يمكن الاستغناء عنه من أجل مواجهة متطلبات الثقافة المحلية و المحافظة على السلوك الاجتماعي؛ إذ أن " تعدد اللغات في العالم ليس واقعا يجب العيش معه و حسب ، بل إنه أيضا أداة للهوية الإنسانية... إن خسارة **تنوع اللغات** في العالم يعادل ما قد يحدث من تقليل لقدرة الإنسان على إقامة جماعة ذات صبغة محلية"9

إن مصطلح التعدد اللغوي عند هارمان يرادف مصطلح التنوع اللغوي، على اعتبار أن التعدد ضرب من التنوع الايجابي للغات في المجتمع.

- **رأي برنار صبولسكي :**

يذهب برنار صبولسكي إلى الرأي نفسه الذي ذهب إليه هارمان إذ يقول في كتابه علم الاجتماع اللغوي (sociolinguistics) :" تعد الازدواجية و التعددية سواء كانت خاصة بشخص بعينه أو جماعة اجتماعية معينة من أهم المظاهر اللغوية الشاهدة على **التنوع اللغوي** الجدير بالملاحظة و الاهتمام"[10]

و هكذا راح الكاتب يتحدث في ثنايا كتابه عن الظاهرة نفسها بمصطلح التعدد اللغوي تارة ، و التنوع اللغوي (variation) تارة أخرى.

إلا أنه و بعد الفحص الدقيق و القراءة الواعية لجملة من المقاربات و الأبحاث في علم اللغة الاجتماعي تبين لنا الفرق الواضح بين التنوع و التعدد.

- **رأي كمال بشر :**

يدل التنوع اللغوي عند كمال بشر على الانقسام و التفرع و التشعب ، ففي فصل من فصول كتابه (علم اللغة الاجتماعي) يتناول التنوع اللغوي على أنه أحد أشكال **التغيير اللغوي** الذي لا مناص منه بالنسبة للغات البشرية ؛ إذ بات التنوع– حسب كمال بشر– حتمية طبيعية تتجه باللغات نحو الانقسام و التشعب و التفرع ، و هذه الحتمية ليست من طبيعة اللغة و لكن مردها إلى عوامل تؤدي إلى هذا الاتجاه أو ذاك.

إلا أن كمال بشر لا يتحدث عن التنوع إلا في إطار اللغة الواحدة فقط؛ أي إذا أردنا أن نلخص تعريف التنوع اللغوي عنده ، فهو تفرع اللغة الواحدة و انقسامها إلى لهجات مختلفة[11] .

يعلل كمال بشر رأيه بكلام الباحثين الذين رأوا بضرورة انقسام اللغات و تنوعها و استشهدوا في ذلك بتاريخ اللغات، من هذه الأمثلة " انقسام مجموعة ضخمة من اللغات المشتركة إلى لهجات متعددة ، فقد رأوا مثلا تفرع اللاتينية إلى فرنسية و ايطالية و اسبانية و برتغالية و السامية إلى عربية و عبرية و سريانية ثم تشعب العربية مثلا إلى سورية و سودانية و لبنانية وعراقية... "[12]

لكن و على الرغم من صحة كلام الكاتب، فالعربية لم تنقسم إلى لغات كما هو الحال بالنسبة للاتينية التي تفرعت إلى لغات مختلفة عن بعضها البعض، و اندثرت اللاتينية ، فالعربية لم تندثر و لم تنقسم ، و ما هذه التنوعات السودانية و اللبنانية و العراقية و المصرية إلا لهجات نشأت بفعل العوامل الاجتماعية و الجغرافية و لازالت اللغة العربية الفصيحة جامعة لكل العرب .

– رأي الثنائي ميلروي(جيمس و ليسلي) :

يدل مصطلح التنوع اللغوي عند العالمين ميلروي على **التغير**،فبالاستناد إلى النموذج التنوعي و المقاربات التجريبية التي أجراها العالمان ،توصلت إلى أنهما فرقا بين نوعين من التقسيم اللغوي " ...الأول يركز على فهم التغير و التحول في الأجزاء البنيوية للغة أكثر من تركيزه على سلوك المتكلمين أو طبيعة التفاعل بينهم»"[13]

انطلاقا من النص السابق يمكننا التفريق بين التنوع و التعدد ، إذ يحيل مصطلح التنوع إلى التغير و التحول و الانقسام و التفرع الحاصل في بنية اللغة ، أي في أجزائها و وحداتها (الصوتية ، و الصرفية ، و التركيبية ، و الدلالية) ، أما مصطلح التعدد اللغوي فيركز في تحديد معناه على سلوك المتكلمين و طبيعة التفاعل بينهم.

التغير في البنية ⟵ التنوع

التغير في الاستعمال ⟵ التعدد

فتكون المعادلة على الشكل التالي :

كل تنوع و اختلاف في البنية اللغوية هو **تنوع** ، و كل اختلاف و تنوع في الاستعمال هو **تعدد.**

– رأي جولييت غرمادي :

جمعت جولييت غرمادي بين ظاهرتي التنوع و التعدد اللغويين تحت ما يسمى بـ**التباين اللساني** ، و أحيانا تسميه **التلون اللساني** .

فهي ترى أن التباين في اللغة يمكنه أن " يتجلى في استعمالات و في بنى منظومة واحدة ، كذلك من الممكن أن يتميز هذا النشاط بالتباين بين الألسن، ذلك التباين القائم بين المنظومات عينها"[14]

يمكن تمثيل رأيها بشكل الآتي:

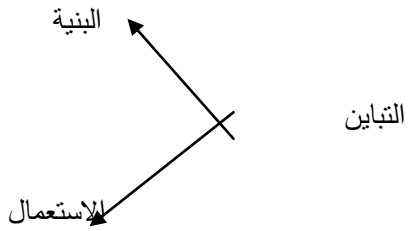

و أخيرا نخلص إلى أن مصطلح التعددية اللغوية و كما يعتقد البعض تختلف فيما لو كانت مفهوما عنها لو كانت مصطلحا، فمنهم من يراها تنوعا لغويا و آخر يدرجها ضمن التباين اللغوي و عليه ؛ تكون التعددية اللغوية شكلا من أشكال التباين اللغوي الذي تنطوي تحته أشكال أخرى ، كالثنائية اللغوية ، و الازدواجية اللغوية ، و التباين المركب ، كلغات الهجين و الكريول...

- **الهوامش:**

1. الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ت ، ج 4 ص: 29 .

2. Oxford learn s pocket dictionary , oxford university press, ox2 6dp ,p 318

3. ينظر المرجع نفسه : ص: 272

4. فاخر سلطان ، التعددية في بحر وجودها و تعريفاتها ، الحوار المتمدن ، ع 1657 ، 2006/08/29 الساعة : 10:09

5. فلوريان كولماس, دليل السوسيو لسانيات, تر خالد الأشهب, و مجدولين النهيني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، ديسمبر 2009 ، ص: .650

6. محمد التونجي و راجي الأسمر, المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1993ص : .546

7. جوليت غرمادي ، اللسانة الاجتماعية ، ترجمة خليل احمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،ط1، أكتوبر 1990، ص : 115.

8. هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، تر, محمود عباد، عالم الكتب,ط 3، القاهرة,ص : 42.
9. المرجع نفسه ، ص: 43 .
10.هارالد هارمان, تاريخ اللغات و مستقبلها ، تر سامي شمعون ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث ، قطر، 2006,ص: 46.
11. برنار صبولسكي ، علم الاجتماع اللغوي ، تر: عبد القادر ستقادي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 ، ص: 131
12. ينظر ، كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع ، ط3 ، القاهرة ، ص : 139.
13. المرجع نفسه ، ص : 139\.140
14. فلوريان كولماس ، دليل السوسيو لسانيات ، ص : .107
15. جوليت غرمادي ، اللسانية الاجتماعية ، ص : 32.

قائمة المصادر و المراجع:

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ت ، ج 4.
- برنار صبولسكي ، علم الاجتماع اللغوي ، تر: عبد القادر ستقادي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010.
- جوليت غرمادي ، اللسانية الاجتماعية ، ترجمة خليل احمد خليل ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،ط1، أكتوبر 1990.
- فاخر سلطان ، التعددية في بحر وجودها و تعريفاتها ، الحوار المتمدن ، ع 1657 ، 2006/08/29 الساعة : 10:09.
- فلوريان كولماس, دليل السوسيو لسانيات, تر خالد الأشهب, و مجدولين النهيني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، ديسمبر 2009.
- كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع ، ط3 ، القاهرة.
- محمد التونجي و راجي الأسمر, المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1993.
- هارالد هارمان, تاريخ اللغات و مستقبلها ، تر سامي شمعون ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث ، قطر، 2006.
- هدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، تر, محمود عباد، عالم الكتب,ط 3، القاهرة.

* Oxford learn s pocket dictionary , oxford university press, ox2 6dp •

[i] – فلوريان كولماس, دليل السوسيو لسانيات, تر خالد الأشهب, و مجدولين النهيني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، ديسمبر 2009 ، ص: 650.